الاعتراض ودلالة السياق في نماذج من الخطاب النثري الأندلسي

Parenthesis and Contextual Significance in Selected Models of Andalusian Prose Discourse

ياقوت المرابط: باحثة في سلك الدكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، المغرب.

Ms. Yakout Elmourabit: PhD Researcher, Faculty of Arabic Language, Cadi Ayyad University, Morocco.

Email: yakoutelmourabit@gmail.com

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i7.1984

تاريخ الاستلام: 2026-06-01 تاريخ القبول: 2026-06-21 تاريخ النشر 2026-07-01

الملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على الجمل الاعتراضية في النثر الأندلسي من خلال مقاربة دلالية لبعض النماذج المختارة من النصوص النثرية الأندلسية، والكشف عن دلالة السياق التي تكتنف هذا النوع من الجمل؛ انطلاقاً من كون السياق يحمل مركزية مهمة في فهم الخطابات وتأويلها، كما تسهم في إثبات القيمة التي تحملها الجمل الاعتراضية في تغيير الدلالة تبعاً لتغير مقصد المتكلم، وبيان تعالقها الدلالي مع الجمل التي قبلها، بالإضافة إلى الإلمام بالقدرة الأسلوبية التي تميز بها مؤلفو الأدب الأندلسي، والكشف عن أفكارهم التي منحتنا مصنفات زاخرة بالإبداع والجمال الأدبيين. ولما كان السياق يحظى بعناية واهتمام بالغين من قِبل الدارسين –قديماً وحديثاً– فقد حدا بنا ذلك للنظر في هذا الموضوع، ومحاولة إفراده بدراسة مستقلة تخص نماذج من النثر الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: الجمل الاعتراضية، النثر الأندلسي، دلالة السياق، المقاربة الدلالية، مقصد المتكلم، الأدب الأندلسي، القدرة الأسلوبية، الخطاب النثري، تأويل الخطاب، التعالق الدلالي.

Abstract:

This study highlights parentheses (parenthetical sentences) in Andalusian prose through a semantic approach to selected models of Andalusian prose texts. It aims to reveal the contextual significance surrounding this type of sentence, based on the premise that context holds a central importance in understanding and interpreting discourses. Furthermore, the study contributes to demonstrating the value of parentheses in altering meaning according to the change in the speaker's intent, and shows their semantic interrelation with preceding sentences. It also seeks to grasp the stylistic capability that characterizes the authors of Andalusian literature, and to uncover their thoughts, which have provided us with works rich in creativity and literary beauty. Since context receives immense care and attention from scholars—both ancient and modern—this is what has prompted us to examine this topic and attempt to dedicate an independent study to it, focusing on selected models of Andalusian prose.

Keywords: Parentheses, Andalusian Prose, Contextual Significance, Semantic Approach, Speaker's Intent, Andalusian Literature, Stylistic Capability, Prose Discourse, Discourse Interpretation, Semantic Interrelation.

المقدمة:

إنَّ أشرف العلوم قدراً، وأرفعها شأناً، هي تلك التي تستمدُّ نورها من وَحيَينِ: كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فهذان المصدران الكريمَان يَحتَويان على كنوز لغويةٍ وأسرار بيانيةٍ، لا يُكشفُ غِطاؤها إلا لمن أُوتِي حظاً من فقه لسان العرب، الذي شرف بنزول القرآن الكريم، وتحدَّث به الرسول الأمين. ومن هذا المنطلق، يَبرُزُ علم النحو بوصفه العمود الفقري لعلوم العربية، والمِفتاحَ الأصيلَ لفهم نصوص الوحيين.

وتأتي هذه الدراسة لتتناول فرعاً دقيقاً من فروع هذا العلم، هو "الجملة الاعتراضية"، التي تحتلُّ مكانةً متميزة في البناء النحوي والخطاب البلاغي. فإذا كانت الجملة هي اللبنة الأساسية في الكلام العربي، وموضعَ عناية الدرس اللغوي قديماً وحديثاً، فإنَّ للجملة الاعتراضية دوراً محورياً في توجيه الدلالة وإبراز مقاصد المتكلم، مما يدفع إلى تجاوز النظر إليها مجردَ زائدةٍ لفظيةٍ، أو عنصرٍ لا قيمةَ إعرابيةَ له. وهذا يطرح إشكالاً رئيسياً: هل يعني عدم احتلال الجملة الاعتراضية لمحلٍّ إعرابي أنَّها تفتقر إلى القيمة الدلالية والنصية؟

إنَّ الجواب يُؤكِّد عكس ذلك؛ فالدارس المُتبصِّر يجد أنَّ هذه الجمل تخبئُ وراء ظاهرها البنيويّ ثروةً من المعاني البلاغية والمقاصدية التي يقصدها المتكلِّم، ولا تتجلَّى إلا بمساءلة السياق الذي ترد فيه. ومن هنا، كان الاهتمام بتحليل دلالة السياق للجمل الاعتراضية مدخلاً ضرورياً لكشف مضمرات النص وإبراز وظائفها التعبيرية، وهو ما أولاه الدارسون القدامى والمحدثون عنايةً خاصةً، لما له من أثرٍ بارزٍ في تفسير الخطاب واستنباط مراد الكلام.

مشكلة الدراسة:

انطلاقاً مما سبق، تتوجَّه هذه الدراسة لتطبيق هذه الإشكاليات النظرية على حقل تطبيقي، هو النثر الأندلسي، بغية الكشف عن وظائف الجمل الاعتراضية ودلالاتها السياقية في نصوصٍ مختارةٍ منه. وتدور الدراسة حول الإشكالية المحورية التالية:

ما مدى تأثير الجملة الاعتراضية – في ضوء دلالة السياق – في فهم الخطاب النثري الأندلسي وتحقيق مقاصده البلاغية والتواصلية؟

وتنبثق عن هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما درجة توظيف أسلوب الاعتراض في النثر الأندلسي، وأشكاله الغالبة فيه؟
2. كيف ساهمت دلالة السياق في الكشف عن المعاني المقصودة للجمل الاعتراضية وإيصالها للمتلقي؟

3. هل يقتصر دور الجملة الاعتراضية على الزينة اللفظية وتحسين النَّسَق الكلامي، أم أنَّ لها مقاصدَ دلاليةً عميقةً تشكِّل ركناً أساسياً في بنية المعنى وتحقيق غاية الكاتب؟

أهداف الدراسة:

تتوخى هذه الدراسة الإبانة عن أهمية الجملة الاعتراضية المبثوثة في الخطابات النثرية الأندلسية، والوقوف على مختلف الدلالات التي يحققها الاعتراض في ضوء دلالة السياق الذي وردت فيه، وإثبات القيمة التي يحملها هذا النوع من الجمل في تغيير الدلالة تبعا لتغير مقصد المتكلم، وكذا بيان الملكة التعبيرية التي ينفرد بها أدباء الأندلس عن غيرهم.

منهج الدراسة:

لقد اقتضت طبيعة الدراسة توظيف المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يتم فيه استقراء مواطن الجمل الاعتراضية في النثر الأندلسي، وتناول كل نموذج بالتحليل الذي سيمكن من استكشاف أبعاد الاعتراض من خلال السياق وتأويلها دلاليا.

أهمية الدراسة:

إن لهذه الدراسة أهمية تكمن في تسليط الضوء على الجمل الاعتراضية في النثر الأندلسي من خلال مقاربة دلالية لبعض النماذج المختارة من النصوص النثرية الأندلسية، وكذا الكشف عن دلالة السياق التي تكتنف هذا النوع من الجمل انطلاقا من كون السياق يحمل مركزية مهمة في فهم الخطابات وتفسيرها، وهذا ما جعلنا نقتحم هذه الدراسة بعين البحث والتنقيب كاشفين عن نماذج مختارة من النثر الأندلسي.

هيكل الدراسة:

- المقدمة
- المطلب الأول: وعنوانه "الاعتراض ودلالة السياق".
- المطلب الثاني: وعنوانه "الاعتراض ودلالة السياق في النثر الأندلسي: دراسة تطبيقية".
- الخاتمة.

المطلب الأول: الاعتراض ودلالة السياق

أولا: مفهوم "الاعتراض"

1- "الاعتراض" لغة:

ذكر الفارابي (ت 393 هـ) تحت مادة (ع ر ض) ما يأتي: "اِعْتَرَضَ الشَّيْءَ دُونَ الشَّيْءِ، أَيْ حَالَ دونَهُ. واعْتَرَضَ الفرسُ في رَسَنِهِ: لَمْ يَسْتَقِم لِقائِدِهِ. واعْتَرَضْتُ البعيرَ: ركبتُهُ وهو صَعبٌ. واعْتَرَضَ له بسهم: أقبل به قِبَلَهُ فرماه فقتله. واعْتَرَضْتُ الشهرَ، إذا ابتدأته من غير أوَّلِه. واعْتَرَضَ فلانٌ فلاناً، أي وقع فيه. وعارَضَهُ، أي جانبَهُ وعدَلَ عنه". (الجوهري، 1987، ج1084/3).

وجاء في "مقاييس اللغة": "اعْتَرَضَ فِي الْأَمْرِ فُلَانٌ، إِذَا أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِيهِ" (ابن فارس، 1979، ج278/4).

ومنه ما نقله جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت 711 هـ) أنه جاء في الحديث:

"لَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ وَلَا اعتراضَ. فَهُوَ أَن يَعْتَرِضَ رَجُلٌ بفَرسِه فِي السِّباق فَيَدْخُلَ مَعَ الْخَيْلِ؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ سُراقة: أَنه عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَبي بَكْرٍ الفَرسَ؛ أَي اعْتَرَضَ بِهِ الطريقَ يَمْنَعُهما مِنَ المَسِير" (ابن منظور، 1414، مج167/7).

ثم أشار إلى ما فيه دلالة على لفظة "عرض" فقال: " وعَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ: انتَصَبَ ومَنَعَ وَصَارَ عارِضاً كالخشَبةِ المنتصبةِ فِي النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوِهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلوكَها. وَيُقَالُ: اعتَرَضَ الشيءُ دُونَ الشيءِ أَي حَالَ دُونَهُ" (ابن منظور، 1414، مج168/7). وأيضا: "والعَرْضُ والعارِضُ: السَّحابُ الَّذِي يَعْتَرِضُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ" (ابن منظور، 1414، مج174/7).

وجاء في "تاج العروس": "الاعْتِرَاضُ: المَنْعُ. قَالَ الصَّاغَانيُّ: والأَصْلُ فِيهِ أَنَّ الطَّرِيقَ المَسْلُوكَ إِذا اعْتَرَضَ فِيهِ بِنَاءٌ أَو غَيْرُهُ، كالجِذْعِ أَو الجَبَل، مَنَعَ السَّابِلَةَ من سُلُوكِه، فوَضَعَ الاعْتِرَاضَ مَوْضِعَ المَنْعِ لهذَا المَعْنَى" (الزَّبيدي، 1965، مج408/18).

يظهر –إذن– انطلاقا من هذه المعاني أن المعاجم أجمعت على أن دلالة الاعتراض اللغوية تتجلى في المنع والعدول، سواء كان المنع عن فعل أمر، أو العدول عن الشيء أو الخشبة في النهر أو الطريق عن سالكيها أو السحاب أو الجذع أو الجبل. فتقع التفرقة إذا بين أمرين اثنين أو شيئين متلازمين.

2- "الاعتراض" اصطلاحا:

من خلال المعنى اللغوي لـ "الاعتراض" يمكننا استنباط معناه الاصطلاحي الذي يشي بالمنع والعدول عن أمر ما. ولقد فطن علماء النحو لذلك؛ فاهتموا بتحديد دلالته والإشارة إليه في كتبهم بشيء من الدقة والتفصيل.

إذ أورد جلال الدين القزويني (ت: 739 هـ) تعريفا للاعتراض ذكر فيه: "الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة" (القزويني، (د-ت)، ج214/3).

وعند النظر في تعريف أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794 هـ): "الِاعْتِرَاضُ: هُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ أَوْ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ مَعْنًى بِشَيْءٍ يَتِمُّ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ بِدُونِهِ وَلَا يَفُوتُ بِفَوَاتِهِ فَيَكُونُ فَاصِلًا بَيْنَ الْكَلَامِ وَالْكَلَامَيْنِ لِنُكْتَةٍ" (الزركشي، 1957، ج56/3)، نلاحظ أنه قريب جدا من تعريف القزويني، إلا أن الزركشي أضاف إليه تعريفا آخر نلمس فيه الدقة والتفصيل، يقول فيه: " وَقِيلَ: هُوَ إِرَادَةُ وَصْفِ شَيْئَيْنِ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا قَصْدًا وَالثَّانِي بِطَرِيقِ الِانْجِرَارِ وَلَهُ تَعْلِيقٌ بِالْأَوَّلِ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْكِيدِ. وَعِنْدَ النُّحَاةِ جُمْلَةٌ صُغْرَى تَتَخَلَّلُ جُمْلَةً كُبْرَى عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيدِ" (الزركشي، 1957، ج56/3). فكان تعريفه هذا بمثابة خطوة متقدمة في تحديد دلالة الاعتراض تدل على نضج الزركشي وسعة إدراكه.

وما أعقب ذلك من تعريفات لم يخرج عن المعاني التي أوردها السابقون. ويذهب الشريف الجرجاني في هذا الصدد إلى أن: " الاعتراض: هو أن يأتي في أثناء كلام، أو بين كلامين متصلين، معنىً بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى رفع الإبهام، ويسمى الحشو أيضًا، كالتنزيه في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾؛ فإن قوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ جملةٌ معترضةٌ لكونها بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام، لأن قوله "ولهم ما يشتهون" عطف على قوله "البنات"، والنكتة فيه تنزيه الله عما ينسبون إليه" (الجرجاني، 1983، 31).

يتضح من هذا التعريف أن الجرجاني حاول الإحاطة بمواضيع الاعتراض كلها من جميع جوانبه، فذكر الاعتراض الذي يقع بين أجزاء الجملة الواحدة، ثم بين الجمل المختلفة، ثم حكمه، ثم أغراضه.

ثانيا: دلالة السياق

إذا أردنا إلقاء نظرة على "دلالة السياق"، فإننا نجد أن هادي نهر يشير إلى أنها نوع ثالث من أنواع الدلالة، حيث ذكر أن: "السياق يحدد دلالة الكلمة على وجه الدقة وبواسطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة" (نهر، 2007، 236).

ولقد اختلفت الرؤى والأقوال حول السياق، إلا أن له الدور الأكيد والفعال في بيان الدلالة، فهو الركيزة الأساس التي يقوم عليها الدرس اللغوي بغية البحث عن المعنى، متضمنا في ثناياه السياق اللغوي (المقام) والسياق غير اللغوي (المقال). وإن النأي عن أحدهما يُجانب الصواب من جهة، ويحتمل الوقوع في سوء فهم المقصود من الخطاب من جهة أخرى. ثم إن نظرية فيرث التي قامت عليها الأبحاث والدراسات "قد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتا، كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات" (نهر، 2007، ص61). ولم تدل إلا على اجتهاد الغربيين في التنظير للمصطلحات وليس أصالتهم فيها؛ إذ كان فضل السبق فيها يرجع إلى العرب الأفذاذ الذين لم يكونوا غافلين أبدا عن السياق وأهميته في إجلاء دلالة الكلمة.

المطلب الثاني: الاعتراض ودلالة السياق في نماذج من النثر الأندلسي

أولا: الاعتراض ودلالة السياق بين أجزاء الجملة الاسمية

المثال الأول:

نورد في هذا المثال جملة اعتراضية جاءت في رسالة أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي القرشي المعروف بابن زيدون (ت 463 هـ)، يقول فيها: "ولك يا سيدي –في انتِدابِكَ لِما نَدبْتُك إليه– الفضلُ، والأيادي قروض، والصنائع ودائع" (ابن زيدون، (د–ت)، ص: 753).

وقع الاعتراض في هذا المثال بشبه الجملة (في انتِدابِكَ لِما نَدبْتُك إليه) بين الخبر المقدم (لك) والمبتدأ المؤخر (الفضلُ).

وجاءت الجملة الاعتراضية في سياق كتابة ابن زيدون لهذه الرسالة البكرية "وهو مختف بقرطبة بعد فراره من السجن" (الشنتريني، 1981، ج355/1) إلى "أستاذه وصديقه أبي بكر مُسلِم بن أحمد بن أفلح النحوي، عاتبا وآملا وشارحا موقفه" (ابن زيدون، (د–ت)، ص: 718)، وطالبا الشفاعة له، ومبينا أن تهمة سجنه باطلة.

ومن خلال دلالة سياق الرسالة؛ نلاحظ أن المعنى الذي سيقت من أجله الجملة الاعتراضية يتجلى في غرض الإبانة والتوضيح؛ حيث نلاحظ أنه وجّه في مستهل هذه الرسالة اللوم والعتاب للمرسل إليه، وذلك في قوله: "وَأُوَسِّطُهُ بِمُعاتَبَتِكَ عَلَى ما كانَ مِنَ انْفِصَالِكَ عَني، وَبَرَاءتِكَ أَمَدَ المحنة مني" (ابن زيدون، (د–ت)، ص: 720). إلا أن ما حملته هذه الجملة الاعتراضية –وهي مذكورة في آخر الرسالة– هو المودة والمحبة، ومحاولة التقرب إلى المرسل إليه، فكان قوله (في انتِدابِكَ لِما

نَدبْتُك إليه) دلالة على أن مطلبه الذي التمسه إليه ليقوم به ما هو إلا من حُسن المرسل إليه وفضله الكبير الذي يغدقه عليه في كل حين.

من جانب آخر، قد يكون معنى الجملة الاعتراضية الذي حققته في دلالة السياق متمثلا في إظهار مشاعر التأهب التي تجلت في نفس الكاتب، والتي أظهرت غرضه من إيراد الاعتراض، وهو خوفه من عدم مساعدة أبي بكر لحصوله على الشفاعة، فاستحضر هذا الأسلوب ليكسب وده ويطيب خاطره، ويُذكره بما دعاه إليه ليؤديه؛ إذ إنه الشخص المناسب ليحقق له مبتغاه.

المثال الثاني:

يورد أبو عبد الله محمد بن مسعود الغافقي الشّقوري المعروف بابن أبي الخصال (ت: 540 هـ) الاعتراض في سياق كتابته لرسالة غرضها التعزية في وفاة ولد، يقول في ذلك: "وأنتَ –أدامَ اللهُ عزّكَ– تَعلَمُ أَنَّ أَمْرِي مِنْ أمرِكَ، في شؤون دهرك، وحُلْوِكَ ومُرّك، وقُلكَ وكُثرِكَ. فإن اتفق تأخير أو عَرَضَ تقصير فَصَدْرُكَ ينشرح، وَعُذْرُكَ لي يَنْفَسِحُ" (ابن أبي الخصال، 1988، ص: 56).

وقعت الجملة الاعتراضية (أدامَ اللهُ عزّك) بين المبتدأ (أنتَ) والخبر الذي جاء جملة فعلية (تَعلَمُ).

لقد أسبغ الاعتراض بين المتلازمين من المبتدأ والخبر معنى دلاليا فرضته دلالة السياق؛ إذ أفاد –هنا– غرض الدعاء، فالاعتراض جاء دعاء للمرسل إليه بدوام العزة والمجد.

وإن المراد من الجملة الاعتراضية في هذا السياق هو استكانة نفس المرسل إليه لسماع الدعاء المحمَّل بالقوة والشدة، وتهدأ لوعته بسبب فقدان ولده؛ سنده الوحيد.

ولقد أورد الكاتب المعنى السابق قبل إيراده للجملة الموالية، والتي تظهر أنه يتقاسم مع المرسل إليه أغلب أخباره وأسراره، ويعلم عنه كل أموره ومشاغله.

وابن أبي الخصال مع هذه القرابة معه كلها، إلا أنه تأخر عليه في تعزيته، لذلك كان الاعتراض مناسبا في هذا السياق، ليحصل الكاتب على غفران لتأخيره وصفح عن تقصيره في مواساته.

ولعل ما يبتغيه الكاتب من إيراد جملة الدعاء بين المتلازمين هو تهدئة روع المرسَل إليه، والطبطبة على روحه الحزينة. فكانت جملة الدعاء كبلسم لطيف على نفسه ينسيه مرارة الفقد ويمنحه قوة يجابه بها معارك الحياة، فتقوى عزيمته ويشتد ساعده.

المثال الثالث:

يقول ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة في الألفة والألاف): "وليس مَن نَبّه غافلا، أو نصح صديقا، أو حفظ مسلمًا، أو حكى عن فاسق، أو حدّث عن عدو – ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعمد الضغائن – منقّلا" (ابن حزم، 1987، ص179).

اعترضت جملة (ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعمد الضغائن) بين اسم ليس (مَن) وخبرها (منقّلا).

جاء هذا النص في سياق حديث ابن حزم الأندلسي عن الواشي الذي يعد نوعا من أنواع آفات الحب، وقد قسمه إلى ثلاثة أنواع: أوله: هو الواشي الذي يريد القطع بين المتحابين فقط، وثانيه: هو الذي يسعى للقطع بين المحبين لينفرد بالمحبوب ويستأثر به، أما النوع الأخير: فهو الواشي الذي يسعى بالمحب والمحبوب معا فيكشف أمرهما، فهو ذلك النمام الذي طبعه الكذب وتزييف الحقائق (ابن حزم، 1987، ص: 170– 172). وكان هذا النوع الأخير هو المقام الذي وردت فيه الجملة الاعتراضية (ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعمد الضغائن).

وكان الغرض من إيراد الجملة الاعتراضية في ضوء دلالة سياق النص هو الاستدراك، حيث كان يقصد ابن حزم أن الناقل للكلام لا يكون منبها لغافل، أو ناصحا لصديق، أو حافظا لمسلم، أو حاكيا عن فاسق، أو محدثا عن عدو، فلا بد لهذه الأفعال السابقة ألا تشاركها رذيلة الكذب وفعل العداوة والبغضاء.

فالمعنى الذي حققته الجملة الاعتراضية من خلال دلالة السياق يكشف عن أن الكذب رذيلة خبيثة، والتحلي بها هي خسارة في الدنيا والآخرة.

وإن المراد من الكذب في هذا السياق هو الكذب الذي تتشربُهُ روح الإنسان حتى يصير هو والكذب واحدا، فتصبح كل أقواله وأحاديثه زورا وافتراء، لذلك أورد ابن حزم هذا الاعتراض ليستدرك على من ذكرهم (المنبه للغافل– الناصح للصديق– الحافظ للمسلم ...) بأنهم لا يتصفون بصفات خبيثة، فهم غير ناقلين للكلام الذي ينتهي بفاعله إلى تشتيت ودمار العلاقات، كما أنهم لا يتحلون بآفتي النميمة والكذب، ولا يتعمدون إشعال فتيل البغض والشنآن بين الآخرين.

ثانيا: الاعتراض ودلالة السياق بين أجزاء الجملة الفعلية

المثال الأول:

إن من مواطن الاعتراض ما أورده ابن زيدون في الرسالة الجدية، في قوله: "أو تَأَخَّرَ –غَيْرَ ضَنِينٍ– غَنَاؤُهُ" (ابن زيدون، (د–ت)، ص: 685)، وذلك في سياق مكوثه في السجن ومحاولته استعطاف ابن جهور.

والملاحظ أن شبه الجملة (غَيْرَ ضَنِينٍ) فصل بين الفعل (تَأَخَّرَ) والفاعل (غَنَاؤُهُ). وقد كان معنى الجملة دون دخول الاعتراض عليها هو أن ابن زيدون لا يشك مطلقا في نفع مولاه له إذا تأخر عنه (أبو بكر محمد عليم، 1926، ص: 83). لذلك اقتضت دلالة السياق الإتيان بالاعتراض لإفادة معنى التقرير والتوضيح، فكان التقرير لإثبات أن بخل سيده لن يكون أبدا سببا في تأخر منافعه، وهو في الوقت ذاته توضيح للمتلقي أن وصفه الغناء بالتأخر (أبو بكر محمد عليم، 1926، ص: 83) ما هو إلا إشارة إلى اطمئنان ابن زيدون بتحقق مراده والخروج من السجن، وأن النفع ولو تأخر فهو عند حصوله سيكون مجزيا ومنصفا له. فتوظيف الاعتراض جعل هذا المعنى بارزا، كما أرسى معالمه لدى المخاطَب؛ لأن الضنين يمنح شعورا سلبيا في نفس القارئ، لذلك أورد أسلوب النفي بأداة (غير) لينفي صفة البخل عن مولاه، فتأخر المنفعة لم يأت من البخل، وكأن ابن زيدون يقدم عذرا لسيده أن هذه الصفة الخبيثة هي بعيدة كل البعد عنه وعما يتميز به من عطف وكرم.

المثال الثاني:

يقول ابن أبي الخصال: "كما أرى مفارقته في هذا الوقت مَشَقَّة. لكنه بفضل وفائه وحُسن صفائه رأى الإقامة إلى أن يَصِل والي الحَضْرة، وينبلج – بِحَوْلِ اللهِ – أمرنا معه. وعند ذلك ينفذ سريعاً ويُصبح شمُلُك به جميعاً" (ابن أبي الخصال، 1988، ص: 114).

وقد كتب الكاتب هاته الرسالة في سياق "جوابه عن رسالة بعث بها من يوقره الكاتب. يستريثه في إرسال رجل سقط اسمه من الرّسالة إلى أن يوافي الوالي الجديد. وكان الرجل المطلوب إنفاذه في (خدمة) الكاتب ابن أبي الخصال أو معيّته" (ابن أبي الخصال، 1988، ص: 113).

يظهر معنى الجملة الاعتراضية الذي حققته داخل دلالة سياق الرسالة في غرض الدعاء؛ أي الدعاء للمرسال إليه بالتيسير وتسهيل صعاب الأمور.

لقد كشف غرض الدعاء عن أثر الجملة الاعتراضية بين المتلازمين من الفعل والفاعل في إكساب الكلام فائدة جمّة، تتمثل في إبقاء بذرة الأمل متّقدة في نفس المخاطَب، أملا في تحقيق المبتغى، وهو إرسال الرجل المطلوب إلى أن يوافي الوالي الجديد.

لذلك كان إيراد لفظة "الانبلاج" التي تشي بمعنى الظهور والتجلي مع عبارة (بِحَوْلِ اللهِ) للإبانة عن التلازم الدلالي بين المعنيين الذي يحيل إلى أن الله عز وجل له القدرة المطلقة على إزالة البلاء، وهو القادر على إيضاح الأمور وبيانها، وصرف كل العوائق التي تحول دون وقوع الأمر المراد، وأن الإنسان بطبيعته عاجز عن القيام بأي أمر إلا بتوفيق منه سبحانه.

لذلك كان مجيء الاعتراض –ههنا– يناسب –بشدة– نفسية ابن أبي الخصال التي كشفت عن أن تحقيقه لمراد المرسل إليه – وهو الرجل الذي يوقره– ما هو إلا تيسير من الله تعالى وتوفيق منه، وليس عن سلطة يملكها ولا عن ملك يحوزه.

فالله –سبحانه وتعالى– لا يعجزه شيء، وهو القادر على تحويل أمور الناس من الشر الى الخير، ومن العسر إلى اليسر. فكل هذه المعاني السالفة الذكر تتناسب وسياق الرسالة، لتضفي على جملة الفعل والفاعل معنى الحولقة[1] والذي يعضد معناها السابق.

المثال الثالث:

يقول ابن حزم:

"وللشعراء في علة مَزار الطيف أقاويل بديعة بعيدة المرمى، مخترعة، كلٌّ سبق إلى معنى من المعاني؛ فأبو إسحاق بن سيَّار النظَّام، رأس المعتزلة، جعل علة مزار الطيف خوفَ الأرواح من الرقيب المرقَّب على بهاء الأبدان، وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي جعل علته أن نكاح الطيف لا يُفسد الحُبَّ، ونكاح الحقيقة يفسده، والبُحتري جعل علّة إقباله استضاءته بنار وَجده، وعلَّة زواله خوف الغرق في دموعه، وأنا أقول من غير أن أمثل شعري بأشعارهم –فلهم فضل التقدم والسابقة، وإنما نحن لاقطون وهم الحاصدون، ولكن اقتداءً بهم، وجريًا في ميدانهم، وتتبعًا لطريقتهم التي نهجوا وأوضحوا– أبياتا بيّنت فيها مزار الطيف مقطعة" (ابن حزم، 1987، ص: 233–234).

وقع الاعتراض في هذا النص بين الفعل (أقول) والفاعل المستتر الذي تقديره "أنا"، ومفعوله (أبياتا) بخمس جمل:

- فلهم فضل التقدم والسابقة.
- وإنما نحن لاقطون وهم الحاصدون.
- ولكن اقتداءً بهم.
- وجريًا في ميدانهم.
- وتتبعًا لطريقتهم التي نهجوا وأوضحوا.

[1]– الحولقة: الاعتقاد التام أن الإنسان لا يستطيع القيام بأي شيء إلا بتوفيق وتسديد من الله.

وجاء هذا النص في سياق ذكر ابن حزم لثلة من الشعراء القدامى نحو: (إسحاق ابن سيار النظام (ت 231 هـ) – أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت: 231هـ) – أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري (ت: 285 هـ)) الذين اشتهروا بباعهم الطويل في نظم الشعر وإنشاده، فأصبحوا بذلك أعلاما كبارا لهم شأن رفيع في مجالهم، وأصبح الشعراء من بعدهم يحاولون اقتفاء أثرهم والاقتداء بطُرُقِهِم.

وإن الغرض الذي تفيده هذه الجمل الاعتراضية متمثل في ذكر محاسن أولئك الشعراء، والتغني بأفضالهم، ثم التعليل لذلك بأنه اقتفاء لأثرهم واتباع لطريقتهم.

فابن حزم لما أراد أن ينظم شعرا يبين فيه مزار الطيف –أي الخيال الذي يتوهمه النائم عند نومه– نبه إلى أن شعره لن يكون على درجة متساوية لأشعار أولئك العظماء.

وليصرح بذلك بطريقة بليغة استحضر خمس جمل اعتراضية تصدح بأفضليتهم عليه من حيث الزمن والقيمة؛ إذ هم السابقون الذين أنشدوا في ميدان الشعر أبياتا ما زالت تتردد بين الأدباء إلى يومنا هذا، وأن الذي يحاول الاحتذاء بهم والسير على خطاهم لن يستطيع بلوغ مجدهم وسمو مكانتهم.

تكشف لنا هذه المعاني التي استنبطناها من الجمل الاعتراضية الخمس أن ما تفرضه دلالة سياق النص يعكس الرؤى ذاتها؛ فالمراد من الاعتراض في هكذا موضع هو تبجيل ابن حزم للشعراء، فهو شبَّ وترعرع في كنف أشعارهم، يعيد قراءتهم حينا، ويحاول مجاراة إبداعاتهم حينا آخر. لذلك يخبر ابن حزم القارئ أنه لو كتب شعرا فلن يماثل أشعارهم، وهذا تواضع من جانبه يُظهر فيه تصاغُر قدراته في نظم الشعر أمامهم.

الخاتمة:

استُفتحت هذه الدراسة بسؤال مركزي متمثل في: هل للجملة الاعتراضية في ضوء دلالة السياق التي وردت فيها تأثير بارز يلمسه المتلقي في فهم الخطابات الموجهة إليه تخدم مراد الكاتب وتحقق مقصده؟ وأفضت محاولة الإجابة عن هذا الإشكال المركزي الذي مثل إشكال الدراسة إلى عقد الصلة بين مطلبيه وأمثلته، انطلاقا من رصد نصي حاول مقاربة هذا المتن انطلاقا من البحث في الجمل الاعتراضية في الأدب الأندلسي من خلال مقاربة دلالية لبعض النماذج المختارة من النصوص النثرية الأندلسية، والوقوف على مختلف الدلالات التي يحققها الاعتراض في ضوء دلالة السياق الذي وردت فيه، وإثبات القيمة التي يحملها هذا النوع من الجمل في تغيير الدلالة تبعا لتغير مقصد المتكلم.

فيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- كشفت الكتب والمؤلفات الأندلسية التي تمت دراستها في هذه الدراسة عن احتوائها على جمل اعتراضية بشكل متعدد ومتنوع.
- إن الاعتراض أسلوب تميز به الأدب الأندلسي عن غيره من الأنواع الأدبية الأخرى، حيث كثُر الاحتفاء به في معظم مؤلفاتهم، وما ذلك إلا دليل على رغبتهم في مشاركة عواطفهم المتقدة ومشاعرهم الجياشة، والتعبير عن خلجات نفوسهم ودواخلها.
- إن للسياق الدور الأكيد والفعال في بيان الدلالة، فهو الركيزة الأساس التي يقوم عليها الدرس اللغوي بغية البحث عن المعنى، متضمنا في ثناياه السياق اللغوي (المقام) والسياق غير اللغوي (المقال). وإن النأي عن أحدهما يُجانب الصواب من جهة، ويحتمل الوقوع في سوء فهم المقصود من الخطاب من جهة أخرى.
- بعد جرد الجمل الاعتراضية من الخطابات النثرية الأندلسية المختارة، تنبهنا إلى أن مؤلفيها قد أحسنوا اختيار الموقع الأنسب للجمل والأساليب، بغية مشاركة عواطفهم المتقدة ومشاعرهم الجياشة، والتعبير عن خلجات نفوسهم ودواخلها.
- انطلاقا من تعدد دلالة السياق الذي وردت فيه الجمل الاعتراضية، فقد تعددت المعاني التي تضمنتها، حيث أتت محمَّلة لجملة من الأغراض نحو: التوضيح والتفسير، المدح والثناء، التقرير والإثبات، الاستدراك، والدعاء.
- أثبتت الدراسة أن الجملة الاعتراضية ليست زيادة في المتن يضيفها الكاتب لتحسين الكلام فحسب؛ بل هي من متطلبات النظم ومقتضيات المقام أن يورد الاعتراض في المواضع التي يبتغي فيها المتكلم تحقيق جملة من المعاني التي تناسب سياق الكلام، والتي قد لا يصل إليها المتكلم بأساليب لغوية أخرى.

أوصت الدراسة بالتوصيات التالية:

- الاهتمام بأثر دلالة السياق في الجمل الاعتراضية في الأدب العربي عامة والأدب الأندلسي خاصة.
- أن الحاجة ماسة لمزيد بحث ودراسة في الحقول المتعلقة بالجمل الاعتراضية ودلالة السياق في النصوص الشعرية والنثرية العربية.
- إفراد كل غرض دلالي يفيده الاعتراض من خلال دلالة السياق التي يحضر فيها ببحث مستقل يجمع بين النظري والتطبيقي.
- جعل موضوع الدراسة يعمق البحث في النصوص الشعرية النسائية بالأندلس.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن حزم، علي بن أحمد. (1987). طوق الحمامة في الألفة والألاف (إحسان عباس، محقق). (ط2). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ابن زيدون، أبو الوليد أحمد. (د.ت). ديوان ابن زيدون ورسائله (علي عبد العظيم، شرح وتحقيق). (د.ط). نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن فارس، أحمد. (1979). مقاييس اللغة (عبد السلام محمد هارون، محقق). (د.ط). دار الفكر.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب (ط3). دار صادر.
- الجرجاني، علي بن محمد. (1983). التعريفات (ط1). دار الكتب العلمية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (أحمد عبد الغفور عطار، محقق). (ط4). دار العلم للملايين.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1965). تاج العروس من جواهر القاموس. وزارة الإرشاد والأنباء – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1957). البرهان في علوم القرآن (محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق). (ط1). مدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام. (1981). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (إحسان عباس، محقق). (ط1). الدار العربية للكتاب.
- الطبري، محمد بن جرير. (2001). تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (عبد الله بن عبد المحسن التركي & عبد السند حسن يمامة، محققان). (ط1). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة (محمد عبد المنعم خفاجي، محقق). (ط3). دار الجيل.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني. (1997). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (إحسان عباس، محقق). (ط1). دار صادر.
- نهر، هادي. (2007). علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي (ط1). دار الأمل للنشر والتوزيع.